شخصيّة الرسول الكريم ﷺ من خلال القرآن الكريم

- دراسة تحليلية -

الأستاذ الدكتور
رحيم خريبط عطيّة الساعدي
جامعة الكوفة ـ مركز دراسات الكوفة
raheem.alsaedi@uokufa.edu.iq

The personality of the Holy Prophet (peace be upon him) through the Holy Qur'an - an analytical study -

Prof. Dr.
Raheem Khrabit Ateea
Kufa University - Al kufa study center

الملخص:

يدرس هذا البحث موضوعاً يتعلّق بشخصيّة الرسول الكريم ﷺ ويقوم بتسليط الضوء على هذه الشخصيّة العظيمة التي اصطفاها الله تبارك وتعالى؛ لتكون خاتمة للنبوّات. وقد أثّرت في مجرى تاريخ البشرية كلّه، وستكون الشريعة التي اختيرت للناس كافة هي السائدة في آخر الزمان وتظهر على الدين كلّه. وقد درس البحث شخصية النبي الكريم ﷺ من جوانب مختلفة: فقد مهّدْتُ له بكلام عن مولد الرسول الكريم ﷺ واسمه وقومه وكتابه المنزّل ثمّ درستُ نبوّة محمد ﷺ في نظر الديانتين السماويتين، اليهوديّة والنصرانيّة، وفي نظر الديانات الكبرى. فهو مذكور في الديانتين السماويتين المذكورتين وهذا هو المهم وعليه المعوّل، ويمكن للمسلمين أنْ يحاجّوا الناس به؛ لأهميّة تلك الديانتين. فلا يد للبشر بتنزيلهما. ودرس البحث أيضاً النبوّة في نظر المسلمين، وكيف ينظر المسلمون إلى نبيّهم نبيّ آخر الزمان خاتم الأنبياء والمرسلين. وتعرّض البحث إلى صفات النبيّ ﷺ ومنها الصفات القيادية، فكيف كان يقوم النبيّ بدعوة الناس وبتسيير أُمورهم والإجابة عن أسئلتهم وما يرومون معرفته. ثم درست شخصيته الاجتماعيّة وما كان عليه ﷺ من أخلاق عظيمة وما كان يتمتّع به من درجة كبيرة من التحمّل وما أعطاه الله تبارك وتعالى من قلب كبير؛ جعله يتحمّل غلظة الأعراب ومكر اليهود وعنت المشركين وخفّة عقولهم. فضلا عن المنافقين الذين يظهرون له ﷺ الاسلام وهم يبطنون الكفر ويتولون الكفار واليهود.

الكلمات المفتاحية: الرسول الكريم، خاتم الأنبياء، وحد القبائل، نشر الرسالة، الصعيد الديني والدنيوي

Abstract:

This research studies a topic related to the personality of the Holy Prophet (peace be upon him) and sheds light on this great personality chosen by God, the Blessed and Exalted; To be the conclusion of the prophecies. It has affected the entire course of human history, and the Shariah that was chosen for all people will be dominant at the end of time and will appear over all religion. The research studied the personality of the Noble Prophet (peace be upon him) from different aspects: I paved the way for him with a speech about the birth of the Noble Messenger (peace be upon him), his name, his people and his revealed book, then I studied the prophecy of Muhammad (peace be upon him) from the viewpoint of the two monotheistic religions, Judaism and Christianity, and in the view of the major religions. It is mentioned in the two mentioned heavenly religions, and this is what is important and has to be relied upon, and Muslims can argue with people with it. The importance of these two religions. There is no hand for humans to download them. The research also studied prophecy from the viewpoint of Muslims, and how Muslims view their Prophet, the Prophet of the End of Time, the Seal of the Prophets and Messengers. The research dealt with the characteristics of the Prophet (peace be upon him), including leadership qualities, so how the Prophet used to invite people, manage their affairs, answer their questions and what they wanted to know. Then I studied his social personality, what he (peace be upon him) had of great morals, what he had from a great degree of endurance, and what God, Blessed and Exalted be He, gave him of a big heart.

Keywords: Holy Prophet, the last of prophets, unite the tribes, Spread the message, The religious and secular level.

المقدّمة:

هذا بحث يتناول أعظم شخصيّة في التاريخ تلكم هي شخصيّة المصطفى المختار ﷺ تلك الشخصيّة العظيمة التي ألهمت عرب الصحراء الذين كانوا يعيشون على الكرّ والفرّ، وإذا ما تقاتلوا فإنّ حربهم تبقى مستعرة سنين طويلة، بعد أنْ وحّدهم وجعلهم تحت راية واحدة هي راية الاسلام الحنيف. وجعلهم يصلون إلى أقطار الارض ينشرون الدين والشريعة التي ارتضاها سبحانه وتعالى لعباده. وطبيعي أنْ تكون لهذه الشخصيّة مزايا وصفات خاصّة تتمتّع بها - فضلاً عن التسديد الالهي المؤيّد بالوحي - لذا لزم الامر أنْ يدرس البحث تلك الصفات والمزايا؛ فقد ألزم القرآن الكريم الناس في الاقتداء بالرسول الامين ﷺ ولاسيّما انّه نبيّ مرسل من السماء بُعث إلى العرب أوّلاً؛ لأنّه عربي وأنذر عشيرته الاقربين ثمّ انطلق إلى قريش وبقية القبائل ثمّ إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً وهذا ما تكفّل به التمهيد ثمّ درس في المباحث اللاحقة صفاته ﷺ ومن تلك الصفات، صفته القياديّة؛ فقد اختلفت طريقة تعامله في قيادة الناس المختلفين أصلاً في أنسابهم وطبقاتهم وأديانهم؛ فهم ليسوا على كلمة واحدة، فكلّ صنف منهم به حاجة إلى طريقة تعامل وأسلوب خطاب ووسيلة إقناع، عن طريقة تعامل الملوك والسلاطين الذين عاشوا في عصره ﷺ وكذلك الذين جاؤوا قبله او الذين أتوا بعده ! ودرس البحث ورود اسم النبي ﷺ في الكتب والاديان السماويّة وغير السماويّة من الديانات الكبرى، ودرس البحث أيضاً شخصيّة المصطفى الكريم ﷺ في نظر المسلمين. وجسّد الرسول ﷺ الصفة القياديّة الاجتماعيّة الناجحة في قيادة الناس إذْ كان ليّناً يشفق عليهم ويتجاوز عنهم ويعرض عن الجاهلين، وكان يكرّس جلّ وقته للعمل ولا يعرف الراحة مذْ جاءه النداء الاوّل من الوحي قرنها بصفات إنسانيّة لا تجد لها نظيراً في تعامل الملوك مع رعيّتهم. ثمّ خُتم البحث بأثره ﷺ في الناس، وكيف استطاع أنْ ينشر الرسالة الالهيّة الكاملة في زمن قصير نسبيّاً، فرسالة كاملة بها حاجة إلى عقود من الزمن وقادة يتعاقبون عليها من أجل إيصالها إلى الناس كافّة إلّا أنّه قد تمكّن من النجاح في تبليغها بتمامها قبل وفاته ﷺ. وقد بذلتُ جهدي في هذا البحث، وأدعو الله تعالى أنْ يوفّقني، إنّه نعم الموفّق، وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربّ العالمين.

التمهيد:

النبي المرسل ﷺ وكتابه وقومه:

ولد رسول الله ﷺ بمكة المكرمة يوم الاثنين على اثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول في عام الفيل سنة ٥٧١م في دار أبي طالب بشعب بني هاشم(١).

وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وعدنان من ولد اسماعيل عليه السلام. وهو بهذا ارفع الناس شرفا ومحتداً. ونسله ﷺ ممتد في ذريّة الإمام علي والسيدة فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين وكانت وفاته ﷺ يوم ١٢ ربيع الأول أو ٢٨ صفر في رواية أُخرى السنة الحادية عشرة من الهجرة سنة ٦٣٢م في المدينة المنورة. وقد اختاره الله سبحانه وتعالى واصطفاه من بين خلقه ليكون نبيّاً لآخر الزمان ويختم النبوّات، وبانتقاله إلى الرفيق الأعلى انقطع الوحي عن الأرض لكنّه ترك رسالة كاملة واضحة لا تحريف فيها ولا اعوجاج جاءته من السماء عن طريق الوحي وقد تكفّل الله بحفظها إلى يوم الدين، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(٢).

وقد نجح الرسول الكريم ﷺ في تبليغ دعوة الحقّ تبارك وتعالى بأمانة وبإخلاص وتمكّن من إنقاذ العرب من جاهليتهم ومن تلك الحروب التي تنخر في جسدهم وهم قبائل متفرقة، وقد وصف القرآن الكريم حالهم بهذا الوصف العجيب: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(٣).

وقد هيّأ الله تبارك وتعالى نبيّه لحمل رسالته الخاتمة وعرّضه لجملة من الإختبارات منها اليتم التي تعرّض إليه بفقده والده قبل أنْ يولد ثم بوفاة أُمه بعمر ست سنوات ثمّ وفاة جدّه عبد المطلب الذي كفله. وقد نقلت سورة الضحى جانباً من حاله ﷺ إذْ يقول الحقّ تبارك وتعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ * وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَىٰ * وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ * أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ * فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾(٤).

وفي الحقيقة أنّ الرسول الكريمﷺ مرّ بمثل ما مرّت به النبوّات من تعرّض للأذى؛ حتّى تكون مستعدة لتحمّل المشاق والصعاب في سبيل الحقّ وإصلاح الناس. فلقد بدأ النبي ﷺ ببناء قاعدة صلبة من المؤمنين الأوائل ولجأ إلى الدعوة سرّاً مقسّماً أصحابه إلى مجموعات صغيرة في شعاب مكّة واحتاج النبي أيضاً دار الأرقم بن أبي الأرقم ملجأً للمسلمين(٥).

وقد رأى الباحثون من غير الديانة الإسلامية نجاح النبي ﷺ في إصلاح قومه وإنقاذهم من الظلمات والوصول بهم إلى برّ الأمان، فقد وضع الكاتب اليهودي مايكل هارت (MICHAEI H. HART) في كتابه: المائة: ترتيب أكثر الشخصيات تأثيراً في التاريخ (The 100: A ranking of the most influential persons in history) النبي محمد ﷺ أوّل شخصية من هذه على شرطه هو على وفق معايير معينة بمدى تأثيرهم في التاريخ.قال فيه أنّ الرسول الكريم ﷺ: ((إنّ اختياري محمداً ليكون الأوّل في أهم وأعظم رجال التاريخ، قد يدهش القراء، ولكنّه الرّجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين الديني والدنيوي، فهناك رسل وأنبياء وحكماء بدأوا رسالات عظيمة ولكنهم ماتوا دون إتمامها كالمسيح في المسيحية، أو شاركهم فيها غيرهم او سبقهم إليهم سواهم كموسى في اليهودية، ولكن محمداً هو الوحيد الذي أتمّ رسالته الدينية وتحدّدتْ أحكامها وآمنت بها شعوب بأسرها في حياته؛ ولأنّه أقام إلى جانب الدين دولة جديدة فإنّه في هذا المجال الدنيوي أيضاً وحّد القبائل في شعب والشعوب في أمة ووضع لها كلّ أسس حياتها ورسم أُمور دنياها ووضعها في موضع الانطلاق إلى العالم أيضاً في حياته، فهو الذي بدأ الرّسالة الدينيّة والدنيويّة وأتمّها))(٦) وبغضّ النظر عمّا يراه كتّاب من أنّه لم يمدح النبيّ محمّداً ﷺ وينبغي ألّا ننخدع فيه، فإنّه كان يتحدّث عنْ تأثيره في التاريخ. وإنّنا ينبغي أنْ نلتفت إلى أُمور كان قد أغفلها(٧).

في شأن الرسول الكريم ﷺ تتعلّق في الرسالة السمحاء والوحي وأخلاقه ﷺ وحكمته من قبل أنْ يتنزّل عليه الوحي وقبل انتقاله إلى المدينة المنوّرة بعد أنْ أحجمتْ مكّة وصدّته عن مطلبه ثمّ تبعتها الطائف وشعوره بالأسى فهيّأ الله تعالى له وفداً من المدينة المنوّرة سرّاً ليبايعوه بالانتقال إليهم ويبقى بين ظهرانيهم إذا أظهر الله تعالى دعوته فنجح ووفّى ما وعدهم به. وعلى أيّة حال فهو لم يطّلع - فيما يبدو - عن سيرة الرسول ﷺ الكاملة

بتفاصيلها. وفي الحقيقة أنّ الرسول الكريم ﷺ فضّل أنْ يكون " عبداً " لله على أنْ يكون " ملكاً " على غرار بعض أنبياء بني إسرائيل كداود عليه السلام وابنه سليمان عليه السلام ولكنّه استطاع مع تواضعه وزهده أنْ يصل بالناس إلى ما يريده ويطمح إليه حتّى رضي الله تعالى عن الدين الذي أوصله ﷺ بنجاح إذْ قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾(٨).

وهو ﷺ أعطى درساً للبشريّة في أنّ محبّة الناس وتقديم ما يصبون إليه عن طريق الأخلاق لهو السبيل الأمثل للنجاح، وليس شرطاً أنْ تكون السلطة - بكلّ أشكالها - مقياساً للنجاح، ومع ما وصل إليه النبي داود عليه السلام من سلطة وقوّة عبّر عنها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾(٩) وبقوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾(١٠) وفسرها البغوي بقوله: أي: وقوّيناه بالحرس والجنود، قال ابن عبّاس: كان أشدّ ملوك الأرض سلطاناً (١١).

ومع ما وصل إليه ابنه سليمان عليه السلام وأن القرآن الكريم قد عبر هنه بقوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾(١٢) إلّا أنّهما عليهما السلام لم يكونا أعظم من النبي محمد ﷺ ولم يكونا أصلاً من الأنبياء الخمسة عليهم السلام الذين عُرفوا بأنّهم من أُولي العزم من الرسل. فكان قد عُرف بتواضعه وبزهده، إذْ ينقل أهل السنن أنّ رجلاً قد أرعد بين يديه ﷺ فقال له: هوّن عليك، فإنّي لست بملك، إنّما أن ابن امرأة تأكل القديد (١٣) وعنه ﷺ أنّه قال: عرض عليّ ربّي ليجعل لي بطحاء مكّة ذهباً، قلت: لا يا ربّ، ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً.. فإذا جعت تضرّعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت شكرتك وحمدتك (١٤) وروي عنه ﷺ أيضاً: أنّه نام على حصير قد ترك أثراً في جنبه فقال أصحابه: يا رسول الله: لو اتخذنا لك وطاءً فقال: مالي وما للدنيا؟! ما أنا في الدنيا إلّا كراكب استظلّ تحت شجرة ثمّ راح وتركها(١٥).

فكيف لا يؤثّر ﷺ في أصحابه ويشدّهم إليه شدّاً وكان حين يجلس ﷺ لا يفرّق عن أصحابه. فضلاً عن عدالته وأنّه لا يفرّق بين أحد وآخر من الناس، فقد روي أنّ قريشا اهمهم أمر المخزومية التي سرقت فقالوا ومن يكلم فيها رسول الله فقالوا ومن يجترئ عليه

إلا أسامة بن زيد فكلمه أسامة فقال: أتشفع في حد من حدود الله ثم قام فاختطب ثم قال: إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أنّ فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها [١٦] فلم نجد أحداً من رجال التاريخ يساوي أهل بيته مع عامة النّاس؛ لهذا نال المديح المطلق من لدن الباري عزّ وجلّ بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [١٧].

النبوّة في شخصيّته ﷺ في الكتب السماويّة والديانات الكبرى:

إنّ المقصود بكلمة " النبوّة " هنا ما تهيّأ للرسول الكريم ﷺ من معايير ومقوّمات تجعله من جملة الأنبياء تلك الفئة التي تمتّعتْ بمزايا مخصوصة من لدن الباري عزّ وجلّ وصدّقها الناس أو ثلّة منهم. ومنها – على سبيل المثال – المعجزات؛ إذْ لا بدّ للنبي من أنْ يأتي بشيء لا يستطيع قومه الإتيان به؛ لكي يصدقوه في دعواه، ولا شكّ في أنّ المعجزات الماديّة هي التي كانت تطلب من النبي مثل امشي على الماء أو تكليم الموتى أو إحيائهم أو التكلم بلغات عديدة أو تحويل الجماد إلى حيوان يدبّ على الأرض. والذي لا يفقهه أقوام الأنبياء أنّ تلك المعجزات ستنتهي بانتهاء صاحبها ولمْ تكنْ حاكمة على الأقوام التي تأتي بعدهم، ومع أنّ الرسول محمد ﷺ قد أتى بمعجزات ماديّة منها وجود خاتم النبوّة على جسده الشريف وإنطاق الشاة المسمومة وغيرها، إلّا أنّ معجزته الخالدة تظلّ القرآن الكريم الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [١٨].

فإبراهيم الخليل وموسى وداود وزكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام لديهم صحف وكتب منزّلة من السماء إلّا أنّها حرّفتْ بعدهم ولم تعدْ صالحة وحجّة لمن يأتي من بعدهم بتصريح القرآن الكريم الذي أشار إلى الأقوام التي حرّفت ما جاء به أنبياؤها، ومنهم اليهود، قال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [١٩].

فبقيت حجّة القرآن حاكمة على البشرية نتيجة لأمرين: الأوّل يتعلّق بحفظ السماء للقرآن الكريم، والثاني يتعلّق بأنّ النبي محمّد ﷺ بُعث للناس جميعاً ولم تقتصر رسالته على قومه فقط مثل الأنبياء الآخرين. وأوّل ما يصادفنا نبوءة الكاهن النصراني بحيرى الراهب الذي لقي أبي طالب عمّ النبي ﷺ وإخباره له بأنّ نبوّة ستخرج من الرسول ﷺ

حين رأى منه ما رأى كالخاتم في ظهره[٢٠].

وقول هرقل عظيم الروم بنبوته بعد ما سأل أبا سفيان عنه[٢١].

ثمّ إنّ الديانات السماويّة قد وجدتْ أنّ رسول الله ﷺ مكتوباً عندهم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٢٢].

وكان الأحبار والرّهبان يعلمون ذلك، فمنهم منْ أسلم وحسن إسلامه وذكر ابن اسحاق أنّ رسول الله ﷺ أخبر أصحابه بورود ذكره واسمه وصفته في الإنجيل، قال: ((نا يونس عن يونس بن عمرو عن العيزار بن الحريث عن عائشة رضي الله عنها قالت: أن رسول الله ﷺ و سلم مكتوب في الإنجيل: لا فظ و لا غليظ و لا سخاب بالأسواق و لا يجزىء بالسيئة مثلها و لكن يعفو و يصفح))[٢٣].

ومنهم أنكر ذلك على رسول الله ﷺ مع علمه بنبوّته طمعاً في المصلحة أو المال أو المعاندة وما إلى ذلك. أما الديانات الأخرى كالهندوسية مثلا، فلمْ يُعرَف أنّها من الدّيانات السّماوية، بل هي ديانات وضعيّة وضعها بعض البشر، وإذا كانتْ قدْ نقلت بعض الأُمور من الدّيانات السّماوية فتبقى في دائرة الشكّ فيما إذا ذكرت نبوّة محمد ﷺ أم لا ! وعلى أية حال تبقى الدّيانات غير السّماوية تالية للدّيانات السّماوية، وإن ذكرها القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[٢٤].

وقضية الفصل بينهم يوم القيامة هي الفيصل، فاليهود هم المغضوب عليهم وهم أهل الكذب والغدر والمكر والحيل وقتلة الأنبياء وأكالو السحت والنصارى " مثلثة " وقالوا إن الله ثالث ثلاثة وإن مريم صاحبته وإن المسيح ابنه، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وزنادقة الصابئة وملاحدة الفلاسفة لا يؤمنون بالله ولا بملائكته وليس للعالم عندهم رب فعال بالاختيار وليس عند نظارهم الا تسعة أفلاك وعشرة عقول واربعة أركان[٢٥].

بعد اليأس من الحوار والجدل العلمي، بسبب أنّهم لا يريدون ترك ما وجدوا عليه آباءهم، فعادةً ما تكون المصلحة وخسران الامتيازات والمعاندة هي التي تقف من وراء التمسّك بدياناتهم حتى لو لمْ تكنْ مقنعة؛ لهذا قال الحقّ تبارك وتعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(٢٦).

ويعلم الله سبحانه وتعالى شدّة التمسّك بالدّين أو المذهب وقال أيضاً: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٢٧).

وكان رسول الله ﷺ حريصاً في تبليغ رسالته إلى الناس جميعاً، فقد بعث ستة من المسلمين بعد أنْ اجتمع به بعد صلاة الفجر إلى ملوك العالم وأُمرائه بكتب يدعوهم فيها إلى الاسلام بعد عمرته حين صدّ عن صلح الحديبيّة تبدأُ عادة بقوله ﷺ باسم الله تعالى يقول بعدها: من محمّد رسول الله إلى فلان ثمّ يختم كتابه بالختم: محمد رسول الله إلى ملك الروم وكسرى وملكي الحبشة والقبط وإلى الحارث ملك الشام وهوذة بن علي الحنفي ملك اليمن، فأجاب ملك الروم بالإيجاب وأجابه كسرى بالرفض والمقوقس بالإيجاب وهوذة بالإيجاب ورفض فروة عامل قيصر وقتل مرسال النبي ﷺ وأجابه " جيفر وعبد " بالإسلام وأجابه ملوك حمير وأساقفة نجران بالإيجاب ولبّاه عمال فارس بالبحرين واليمن وأفيال حضرموت وملك إبّله ويهود مغنا وغيرهم بالإسلام أو الجزية وأجاب النجّاشي بالإسلام والإيمان(٢٨).

ونحن نعلم أنّ الحروب الدينيّة مثل الصليبيّة والحروب التي دارت في الهند وقسّمتها إلى ثلاث دول والحروب التي وقعت داخل المذهب الواحد كالحروب بين المالكيّة والحنبليّة وغيرها؛ وعليه فترك الخوض في مثل هذه الأمور أولى ومطارحة الآراء ينبغي أنْ يأخذ طريق السّلم والموعظة الحسنة، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(٢٩).

النبوة في نظر الديانة الإسلامية:

لقد كان العرب مهيّئين للإسلام تهيئة كاملة سبقت البعثة المباركة، تمثّلت في قبول شخصية الرسول محمد ﷺ قبل بعثته، فقد عرف بفضله وبمساعدته للآخرين كاشتراكه في

حلف الفضول مثلا وبمساعدة الناس على حل مشاكلهم، وعرف بصدق الحديث وبأمانته كما أنه حفيد عبد المطلب الذي عُرف بأريحيّته وبكرمه، تمثّل ذلك في مدائح الشعراء له بعد وفاته، وقد بدأ في بداية دعوته بأبناء عشيرته امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾(٣٠).

وقبل أقاربه دعوته وساندوه من أمثال عمه أبي طالب وابنيه علي عليه السلام وجعفر رضي الله تعالى عنه، وعمّه حمزة وعمّه العبّاس وابن عمّه عبيدة، ورفض عمّه أبو لهب الانضمام إليهم وقرّر أنْ يعصي أمر الله تعالى فنزلتْ فيه سورة تقرّعه وتنذره بالعذاب وبأنّه يذوق النار، قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾(٣١).

ثم آمنت به طائفة من المستضعفين والمحرومين والمستعبدين من العرب ومن غيرهم فمنهم الحبشي والتركي والفارسي فضلا عن إيمان كبار الشخصيات من قريش كأبي بكر الصديق، وكان صديقا للرسول ﷺ قبل بعثته، وأخذت القبائل العربية تدخل الإسلام بشكل كبير وقد صور القرآن الكريم ذلك تصويراً رائعاً بقوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾(٣٢).

والحق أنّ رسول الله ﷺ - بتأييد من الله تعالى - وبأخلاقه العظيمة تمكّن بشكل لافت للنظر - قياساً بالنبوات - وبوقت قياسي جداً من أنْ يكسب قلوب الناس ورأوا فيه ﷺ المخلّص لهم، وتمكن من نقلهم من حال إلى حال إذ جعلهم سادة وأثرياء بعد أن كانوا فقراء ورأوا فيه العادل الذي لا يفرقهم عن أهل بيته ووجدوا عنده عطفاً لم يلمسوه عند آبائهم، وقد منحه الله تعالى صفات وصلاحيات تفوق صلاحيات الأبوين، قال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾(٣٣).

لذلك تراهم يفدونه بآبائهم وبأمهاتهم ولم يكونوا كأصحاب موسى الذين قالوا له: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾(٣٤).

فنزلت آية ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(٣٥).

وهي تذكر في الصلوات وقبل الأذان وفي كلّ وقت زيادةً في شرف النبي ﷺ ورفعته. وهو مقدّم عند المسلمين جميعاً؛ لأنّه حامل الرسالة الخاتمة الخالدة وأنّه الشفيع لأُمته يوم الحشر الأعظم يوم ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾(٣٦).

وبقيت رسالته حيّة نابضة إلى يوم الدين، وهو موصول الحياة عن طريق كتاب الله المجيد وسنّته العظيمة وسيرته العطرة.

الصفات الشخصيّة للنبي ﷺ:

الشخصيّة القياديّة

لقد تمتّع رسول الله ﷺ بصفات قياديّة أوصلته إلى درجة الكمال البشري، فنحن نعلم مقدار تحمّل الإنسان ودرجة خوفه؛ لأنّ في جسمه إنزيم يفرزه يسمّى " إنزيم الخوف " يجعل الإنسان مهيّاً لتحمّل الصدمات وتظهر عليه آثار الخوف، مهما أُوتي من رباطة جأش وشجاعة، ويختلف البشر في درجات تحمّلهم واستقبالهم الصدمات من إنسان إلى إنسان آخر. ولا نجد الأنبياء يشذّون عن هذه القاعدة البشريّة، وقد أورد القرآن الكريم " خوف " موسى عليه السلام.

من فرعون، قال تعالى: ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾(٣٧).

وقال تعالى ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾(٣٨).

مع أنّ القرآن الكريم وصف النبي موسى عليه السلام بالقوّة بقوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾(٣٩).

وقال المفسّرون أنّ معنى القويّ الأمين: ((أيْ خير من استعملت مَنْ قوي على العمل وأداء الأمانة، قال عمر بن الخطاب: لمّا قالت المرأة هذا، قال شعيب: وما علمك بأمانته

وقوته؟ قالت: أمّا قوّته فلأنّه رفع الحجر الذي لا يرفعه كذا وكذا، وأمّا أمانته: فإنّه قال لي: إمشي خلفي، فأنا أكره أنْ تصيب الريح ثيابك، فتصف لي عجزك. وقيل: القويّ في نزعه الحجر من البشر، وكان لا يستطيعه إلّا النفر. الأمين في غضّ طرفه عنهما، حين سقى لهما، فصدرتا، وقد عرفتا قوّته وأمانته. فلما ذكرتْ المرأة مِنْ حاله ما ذكرتْ زاده ذلك رغبة فيه))[٤٠].

والحقيقة إنّ النبي موسى عليه السلام سلك سلوك المروءة - حين سقى لهما - ولم يلاحقهما بنظراته، بل تولّى إلى الظلّ وهذا صنيع النبوات إذْ لا يطلبون أجراً على الرسالة مع عظمها وخطرها، فكيف بعمل سهل كهذا !. ومع ما مرّ فإنّ القوّة هنا تُفسّر بالقوّة الجسديّة، ولا تفسّر على أنّها قوّة تحمّل الرسالة - والله تعالى أعلم - إلّا أن الرسول ﷺ لم يَخَفْ من مشركي قريش وقد فتكوا بأصحابه وقتلوا أعزّ الناس لديه ومنهم عمّه وأخوه في الرضاعة حمزة أسد الله وأسد الرّسول ﷺ وروى ابن هشام ما يأتي: ((قَالَ ابْنُ إِسْحَاق: وحدّثني يَعْقُوب بْن عُتْبَةَ بْن الْمُغِيرَة بْن الْأَخْنَس أَنّه حُدّث أَنّ قُرَيْشًا حِينَ قَالُوا لِأَبِي طَالِب هَذِه الْمَقَالَة بَعَثَ إلَى رَسُول اللّه ﷺ فَقَال لَه: يَا ابْن أَخي، إنّ قَوْمَك قَدْ جاؤوني، فَقَالُوا لي كذا وكذا، لِلّذي كانوا قَالوا لَهُ فَأَبْقِ عَلَيّ وعلى نفسك، ولا تحمّلْني من الأَمر ما لا أُطِيق قَال: فظنّ رسول اللّه ﷺ أَنّه قَدْ بدا لعمّه فيه بداءٌ أَنّه خاذلهُ ومسلمهُ وأَنّه قَدْ ضعف عنْ نصرته وَالْقِيَام معهُ. قَالَ فَقَال رسول اللّه ﷺ: يا عمّ، وَاللّه لوْ وضعُوا الشّمْس في يميني، والْقَمَر في يساري علَى أَنْ أَتْرك هذا الْأَمْر حتّى يُظْهِرَهُ اللّه أَوْ أَهْلك فيه ما تركْتهُ قَال ثُمّ اسْتَعْبَر رسول اللّه ﷺ فبكى ثمّ قَام فَلَمّا ولّى نَاداه أَبُو طَالب فَقَال أَقْبِلْ يَا ابْنَ أَخي، قَال فَأَقْبَل علَيه رسُول ﷺ فَقَال اذْهب يا ابْن أَخي، فَقل ما أَحْبَبْت فَوَاللّه لا أُسْلِمك لشَيْء أَبداً))[٤١].

وهذه من أوثق الأُمور التي تدلّ على تحمّل القائد والإصرار على أمره. وقد بيّن الله تعالى جلَد الرسول ﷺ وصلابته بقوله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٤٢].

ومن شدّة ما عاناه الرسول الكريم ﷺ من قومه - بعد أنْ عاد ﷺ - إلى مكّة واستقبل تلك المِحَن راضيًا، وتجرّع الشدائد صابراً محتسبًا، وعن عائشة - رضي الله عنها - أنّها قالت

للنبيِّ ﷺ: هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ من يوم أحُد؟ قال: ((لقَد لقيتُ من قومِك، وكان أشدَّ ما لقيتُ منهم يوم العقبة، إذْ عرَضْتُ نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال، فلم يجِبْني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلاَّ وأنا بقرن الثَّعالب، فرفعت رأسي، وإذا أنا بسحابةٍ قد أظلَّتْني، فنظرت فإذا فيها جبريل - عليه السلام - فناداني، فقال: إنَّ الله تعالى قد سمع قول قومك لك، وما ردُّوا عليك، وقد بعث إليك ملَك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملكُ الجبال، فسلَّم عليَّ، ثمَّ قال: يا محمَّد، إنَّ الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملَكُ الجبال، وقد بعثني ربِّي إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت؛ إن شئتَ أطبقتُ عليهم الأخشبَيْن))، فقال النبيُّ ﷺ: ((بل أرجو أن يُخرِج الله من أصلابهم مَن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً)) (٤٣) وأنت إذْ تلاحظ حال الدنيا وقرأت التاريخ فهل وجدت شخصيّة بهذا القدر من علوّ الهمّة وسموّ الأخلاق ! وهل وجدت رجلاً يتجاوز عن الناس منتظراً ما تخبئ الأصلاب لعلّ فيها من يعبد الله تعالى، وقرأت تا ريخ النبوات وكيف دعوا على أقوامهم بالويل والعذاب - بعد أنْ يئسوا منهم - وأمر نوح عليه السلام معروف إذْ قال ربّنا تبارك وتعالى في شأنه: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ (٤٤).

فلم يكن ما لاقاه رسول الله ﷺ أهون ممّا لاقاه الأنبياء الآخرون فقد ظلّ يمشي وظهره منحنٍ في أواخر حياته ﷺ، قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ (٤٥) من شدّة عنائه وجهده في إقناع الناس بدعوته.

فقد ذكر ابن هشام أن ابن اسحاق قال: إنّ قريشا أغرت السفاء في إيذاء النبي ﷺ فكذبوه وآذوه ورموه بالشعر والكهانة والسحر وهو ﷺ مظهر لأمر الله تعالى لا يستخفي به(٤٦).

وكان أبو جهل من أكثر الناس إيذاءً لرسول الله ﷺ مع الحكم بن العاص فقد روي أنّ الرسول ﷺ كان يصلي فلمّا سجد جاءه أبو جهل فوطىء عنقه فأنزل الله تعالى فيه: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ * عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ﴾ (٤٧) وأنزل فيه: ﴿أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ (٤٨) وأنزل فيه: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ (٤٩) قال: هم تسعة عشر خزنة النار فقال رسول الله ﷺ: والله لئن عاد

لتأخذنه الزبانية فانتهى فلم يعد[٥٠] والرسول ﷺ يشير إلى قوله تعالى: ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾[٥١] ومع هذا الأذى الذي صدر من هؤلاء السفهاء إلّا أنّ النبي ﷺ لم يعبأ بهم، إنّما كان همّه منصبّاً على إبلاغ الناس دعوته وإنقاذهم من الظلمات إلى النور؛ لذلك ترى الشباب يتركون أباءهم المترفين ويلتحقون بالرسول الكريم ﷺ؛ لأنّهم وجدوا أنفسهم ووجدوا راحة بالهم المفقودة. وممّا يلفت الإنتباه إلى أنّ الرسول الكريم ﷺ بُعث إلى بيئة صحراويّة بها حاجة إلى تحمّل أهلها شظف العيش وكذلك صعوبة تقبّلهم شريعة تدعو إلى قوانين صارمة لا تقبل الإعتداء على الآخر، ويكون المسلم على المسلم حرام في دمه وماله وعرضه. والنبي ﷺ قد أوصل هذا بأمانة وبإقناع منقطع النظير بتسديد من الله تعالى.

الشخصيّة الإجتماعيّة:

وقد عُرف عنه ﷺ أنّه كان على درجة عالية من الأخلاق الحميدة، فقد كان ﷺ مشاركاً في " حلف الفضول " لإحساسه العمق بالضعفاء وبالمحتاجين وبأصحاب الحقوق المهتضمة. فضلاً عن مساعدته الآخرين من دون مقابل. مثلما عُرف عنه ﷺ الأمانة وصدق الحديث وكان الناس يأتمنونه على ودائعهم؛ ممّا يدلّ على مواصلته الإجتماعيّة مع الناس، وحين بُعث قال: ((إنّما بُعثت لأُتمّم مكارم الأخلاق))[٥٢].

وهذا يعني أنّه كان مطلعاً على تلك المكارم وأنه يعرفها حقّ المعرفة من خلال احتكاكه بالمجتمع؛ إذْ لم يكن معزولاً عن مجتمعه، بل هو جزءٌ منه يشعر بما يشعرون به ويحسّ بما يحسّون. وبعثه الله تبارك وتعالى ليتمّم تلك المكارم وقد وصفه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٥٣]

وقال باحث معلّقاً على هذه الآية: ((فقد عجز نعت الناعتين عن بعض صفاته وبلاغته وأمانته وذكره وشكره وعبادته وكرم عشرته وشفقته وأدبه ورفقه وتجاوزه وبأسه ونجدته وعزمه وهمّته وعلمه وحكمته وزهده وورعه وصبره ورضاه وسخائه وجوده إلى غير ذلك.))[٥٤].

وتتبيّن الأخلاق عن طريق التواصل الإجتماعي والإلتزام بقضايا الناس، ولا تتجسّد عند شخص منسحب من الحياة لا يبالي بالآخرين وبما يعانونه من أعباء. وكان يعتزّ أنّه من

قريش واسترضاعه في بني سعد قال ابن هشام: ((قَال ابْن إسْحَاق: وكان رسولُ اللّهِ ﷺ يقول لِأصْحابِه أَنَا أَعْرِبُكمْ أَنا قُرَشِيّ، واسْتُرْضِعْت فِي بني سعْد بْن بكر(٥٥).

ومن الروايات القوية التي تدلّ على مشاركة الرسول الكريم ﷺ مجتمعه ما نقله ابن اسحاق: ((حدثنا أحمد نا يونس عن ابن اسحاق قال: فمكثت قريش أربع ليال أو خمسا بعضهم من بعض ثم إنهم اجتمعوا في المسجد فتشاوروا و تناصفوا فزعم بعض أهل العلم و الرواية أن أبا أمية و كان كبيرا و سيد قريش كلها قال: يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل عليكم من باب المسجد فلما توافقوا على ذلك و رضوا به دخل رسول الله ﷺ فلما رأوه قالوا: هذا الأمين قد رضينا بما قضى بيننا فلما انتهى إليهم أخبروه الخبر فقال: هلموا ثوبا فأتوا به فوضع رسول الله ﷺ الركن فيه بيديه ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوا جميعا فرفعوا حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه رسول الله ﷺ بيده ثم بني عليه فكان رسول الله ﷺ يسمى في الجاهلية " الأمين " قبل أن يوحى إليه))(٥٦).

ثمّ ذكر ابن اسحاق أنّ هذه الحادثة كانت قبل البعثة بخمس سنوات وبعده في الأربعين سنة بُعث رسول الله ﷺ(٥٧).

الشخصيّة الإنسانيّة

لقد عُني أهل السير والحديث بالرسول الكريم ﷺ على أنّه رسول السماء إلى الإنسانيّة جمعاء، لا تقف رسالته ﷺ عند قومه فقط، بل تتعداهم إلى الناس كافة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٥٨).

وحين تكون الشخصيّة بهذا العظَم لا بدّ للناس من أنْ ينظروا إليها نظرة الرسل والأنبياء، ولا يلتفتون إلى هذه الشخصيّة من الناحية الإنسانيّة، فهو ﷺ كان يختلط بالناس ويعيش مثل ما يعيشون، فهو يأكل مثلهم ويمشي في الأسواق ويسلك سلوك البشر ويعتريه مثل ما يعتريهم من أمراض ونحوها حتّ إنّهم كانوا يعجبون من ذلك ! ﴿وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾(٥٩).

إذْ كبر عليهم أنْ يكون الرسول ﷺ نذيراً وهم لا يتوقّعون أنْ يُبعث فيهم، بل كان توقّعهم أنْ يكون الوليد بن المغيرة - عظيم مكّة - أو أنْ يكون عروة بن مسعود الثقفي -

عظيم الطائف - وقد عبّر القرآن الكريم عن ذلك بقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ * أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾(٦٠).

هذا قولهم وقد ردّ عليهم القرآن، وفي الحقيقة أنّهم ينطلقون من مواقع اجتماعيّة فضلا عن مصالحهم الشخصيّة. ولا ينطلقون من مؤهّلات الشخص ذاته. فلو نزّل القرآن على واحد من الرجلين المذكورين - على زعمهم - لربّما يقبلون بذلك، بدلالة " لولا " وهو حرف امتناع لوجود، أي امتنع أنْ يؤمنوا بما نزّل على محمّد ﷺ لوجود الرجلين ! وزعمهم هذا يثير مشكلة التفرقة بين القبائل والتفرقة بين الأشخاص والتحريض على رسول الله ﷺ متناسين أو أنّهم يجهلون أنّ النبوّة اصطفاء إلهيّ لا يتدخّل البشر فيه مطلقاً. ومع كلّ هذا وغيره لم يعبأ الرسول بهم ولمْ يُعِر أيّة أهميّة لهم، بل راح يبلّغ الرسالة بكلّ أمانة وإخلاص.

وحين تقرأ سيرته ﷺ تجده إنساناً رقيقاً - مع أنّه عاش في جزيرة العرب المجدبة - التي تجبر أهلها على القسوة والشدّة وهذه الرقّة لمْ تكنْ وقتيّة أو مصطنعة، بل رافقته في مراحل حياته كلّها. ولو كانت مصطنعة لانكشفت أمام الناس، ولا سيّما المتربّصين بالإسلام ، ومن مظاهر تلك الرقة، أنّه ﷺ كان أرفق الناس وأبعدهم عن التشديد والفظاظة، وهذا ما نوّه به القرآن الكريم: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾(٦١).

وكان الرجل يأتي من البادية ويخاطبه باسمه مجرّداً وينياديه من بعد وأحياناً يستوقفه ويمسك بخطام ناقته ويقول له أخبرني بما يقرّبني من الله فيقول النبي ﷺ لأصحابه لقد هدي فيجيبه، وربّما يثور أصحابه ولا يقبلون أنْ يعامل رسول الله ﷺ بمثل هذه المعاملة فيهدّئ من روعهم(٦٢)؛ لأنّه ﷺ مبعوث رحمة للعالمين ولعلّ العاطفة تأخذ أصحابه، وإنْ كان النبي ﷺ يتولّى تهدئة أصحابه فمن ذا الذي يقوم بذلك بعده ﷺ. ومن مظاهر رقّته أيضاً: أنّه كان يُقبّل الأطفال ويلعب معهم ويعطف عليهم مثلما حدث حين رآه الأقرع بن حابس يقبّل الحسن بن علي فقال له الأقرع: إنّه لم يقبّل أولاده العشرة، فقال النبي ﷺ " منْ لمْ

يرحمْ لا يُرحم "[٦٣].

وكان ﷺ يمازح الأولاد، فعندما مرّ على صغير رآه حزينًا لموت عصفوره، لاطفه بقوله: "يا أبا عمير، ما فعل النغير؟ ".

وحين انتصر على قريش في موقعة بدر الكبرى في السنة الثانية من الهجرة نراه لا يقبل بتكبيل الأسرى وقبل بطلب الفدية أو أنْ يعلم كلّ أسير عشرة من المسلمين لقاء حريّته، وهذه سابقة لم تكن معهودة في الحظّ على العلم في ظروف المعركة، وقد نزلت آية في الأسرى، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٦٤].

وكان رسول الله ﷺ - كعادته - استشار أصحابه فرأى المسلمون أخذ الفدية وقالوا له هم أولاد العم والعشيرة ورأى عمر بن الخطاب قتلهم فمال النبي ﷺ إلى رأي الصحابة فنزلت الآية الكريمة في اليوم التالي فبكى رسول الله ﷺ وبكى معه أبو بكر[٦٥].

وهل عرف التاريخ قائدًا عسكريًا يقود جيوشه المنتصرة دائمًا بهذه الروح الإنسانية السامية؟[٦٦].

فالحرب في الإسلام شُرّعت للدفاع عن المبدأ والعرض والدم والمال وليس للهيمنة على الآخرين والتسلّط على رقابهم ومن يفعل ذلك فليس من الإسلام في شيء، بل هي إرادة دموية هدفها السيطرة والانتقام من الناس فقال الرسول ﷺ في غزوة مؤتة في السنة الثامنة من الهجرة عندما أعدّ الجيش لقتال الروم: اغزوا باسم الله، في سبيل الله، مَنْ كفر بالله، لا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تقتلوا وليدًا ولا امرأة، ولا كبيرًا فانيًا، ولا منعزلاً بصومعة، ولا تقطعوا نخلاً ولا شجرة، ولا تهدموا بناء[٦٧].

وأنّه ﷺ يتمتع بأبّهة السلطة، ولم يستثمر حبّ المسلمين الجارف له لحيازة متع شهوانية، فكان يخصف نعله بيده، ويرقع ثوبه بيده، ويحلب شاته بذاته، ويعاون أهله في مهنتهم، ويخدم نفسه بنفسه [٦٨].

وكان ﷺ لا يقبل بالتفاوت الطبقي ولا يميّز بين شخص وآخر على أساس اللون أو العرق ويرأف بالعاملين وبالخدم ويسميهم الإخوان ويطلب الإحسان لهم وعدم تكليفهم بما

لا يطيقون في الوقت الذي فشلت فيه أرقى المجتمعات في التصدي لظاهرة الرقّ واستعباد الآخرين والمتاجرة بهم، وجعل القرآن الكريم اقتحام " العقبة " فكّ الرقبة المستعبدة، قال تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ﴾[٦٩].

وكان يرأف بالحيوان ويجعل الرأفة فيه من الأجر الذي يكتسبه الإنسان فقال أصحابه حتى في الحيوان، قال نعم في كل كبد رطبة ولا يقبل بإيذاء الحيوان، ومعروفة القصة التي قصّها للمسلمين عن المرأة التي دخلت النار في هرّة أو الكلب الذي بسببه دخل رجل الجنّة، قال ابن عثيمين وهو يشرح حديث أبي هريرة: في كل كبد رطبةٍ أجر:

((عَنْ أبي هُريرةَ رضي اللهُ عنه أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: بينما رجلٌ يمشي بطريقٍ اشتدَّ عليه العطشُ، فوجد بئرًا، فنزل فيها فشَرِبَ، ثم خرج فإذا كلبٌ يلهثُ، يأكلُ الثَّرَى من العَطشِ، فقال الرَّجلُ: لقد بلَغَ هذا الكلبُ من العطشِ مثلَ الذي كان قد بلَغَ منِّي، فنزل البئرَ فملأ خُفَّه ماءً، ثم أمْسكَه بفيه، حتَّى رَقَى فسَقَى الكلبَ، فشَكَرَ له، فغفَرَ له قالوا: يا رسولَ اللهِ إنَّ لنا في البهائمِ أجرًا؟ فقال: في كلِّ كبدٍ رطبةٍ أجرٌ. متفق عليه))[٧٠] وكان ينهى عن تحميل الحيوان بأكثر من طاقته

وكان يدعو إلى معاملة المرأة معاملة راقية، وقد استشكل عليه المشركون ذلك، لأنّ من قبائل العرب من كانت تئد البنات خشية العار من السبي أو خشية الوقوع بالفاحشة. وقد عرف المسلمون معاملته لابنته فاطمة الزهراء عليها السلام.

وكذلك معاملته لأزواجه، فكان خير الناس لعياله - كما قال ﷺ - في الوقت الذي تعاني أرقى المجتمعات من الرقّ على غرار بريطانيا التي ما تزال فيها خمسة آلاف فتاة من إفريقيا تحت نير الرقّ وأمريكا التي عانت من التمييز العنصري وما تزال لم تتخلّص منه وتسمّي من أصله إفريقي بالزنجي ! ومشهور نظام " بريتوريا " العنصري في جنوب إفريقيا، وأنّ رسولنا الكريم ﷺ قد تخطّى ذلك منذ بزوغ فجر الإسلام العظيم.

النبي ﷺ وتأثيره في الناس:

لقد مرّ في هذا البحث ما لا قاه الرسول الكريم ﷺ من قومه، ومن أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى - وإنْ ورد أهل الكتاب وأراد الله تعالى بهم اليهود تحديداً - ومن

المنافقين من إعراض، وقد تناولهم القرآن بمسميات متنوعة، فهم المشركون، قال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ وهم الكافرون﴾(٧١).

والمقصود بـ " ولتجدنّهم " اليهود، فبعد أنْ تحدّث القرآن عنهم وعن اتخاذهم العجل وعندما قيل لهم اسمعوا قالوا: سمعنا وعصينا وطُلب منهم الموت إنْ كانوا صادقين بزعمهم من أنّ الدار الآخرة خالصة من دون الناس، إلّا أنّهم لا يتمنون الموت؛ لأنّهم يعرفون ما اقترفوا من الذنوب، قال تعالى يحكي هذه الصور: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ * وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾(٧٢).

ثمّ يأتي المشركون وهم يودون أنْ يعمروا ألف سنة، ومع هذا فإنّ اليهود يخافون المعاد أكثر من المشركين؛ لأنّ المشركين لا يؤمنون بالبعث، إذْ قالوا: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾(٧٣).

وقد فسّر الطباطبائي هذه الآية بقوله: ((ومن أعظم ما يزين في قلوبهم هذا الاستبعاد وزعمهم أنّ الموت فناء للإنسان، ومن المستبعد أنْ يكون الشيء عن عدم بحت كما قالوا: أإذا كنا رفاتاً وعظاماً بفساد أبداننا عن الموت حتّى إذا لم يبقَ منها إلّا العظام ثمّ رمّت العظام وصارت رفاتاً أإنا لفي خلق جديد نعود أناسيً كما كنّا؟))(٧٤).

فالرسول بإزاء هذا الطرح من اليهود، ومن المشركين - الذي يبدو طرحاً " منطقيّاً مقبولاً " - لا بدّ له من حجّة قويّة فضلاً عن انْ تكون مقبولة ليحاجّ بها هؤلاء وهؤلاء، اليهود لا يريدون تقبّل رسول جديد بعد أنْ عارضوا نبيّهم موسى عليه السلام على مكانته وقوّة شخصيّته - وعلى ما كانوا عليه من " ذكاء واحتيال "، والمشركون لا يقتنعون بالحساب وبالبعث؛ لأنّهم غير مؤمنين بالبعث وبالنشور أصلاً - بعدما رأوا العظام البالية - فكان

الرسول ﷺ يردّ عليهم من القرآن الكريم رداً علمياً مقبولاً وبحجّة دامغة بألوان من الأمثلة الدقيقة، على شاكلة قوله تعالى: ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾(٧٥).

وقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ * أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ * إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ * فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(٧٦).

فالإنسان ينسى أنّه خلق من عدم، ويظنّ مثلما ظنّ من كان قبله حين قالوا لنبيهم بعد نوح عليه السلام، قال تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾(٧٧).

وقال الطبري في تفسير هذه الآية: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ وقوله: ﴿إِنْ هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ يقول: ما حياة إلا حياتنا الدنيا التي نحن فيها(نَمُوتُ وَنَحْيَا) يقول: تموت الأحياء منا فلا تحيا، ويحدث آخرون منا فيولدون أحياء (وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ) يقول: قالوا: وما نحن بمبعوثين بعد الممات.

كما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿إِنْ هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ قال: يقول ليس آخرة ولا بعث، يكفرون بالبعث، يقولون: إنما هي حياتنا هذه ثم نموت ولا نحيا، يموت هؤلاء ويحيا هؤلاء، يقولون: إنما الناس كالزرع يحصد هذا، وينبت هذا، يقولون: يموت هؤلاء، ويأتي آخرون))(٧٨).

فإحياء العظام وهي رميم به حاجة إلى ردّ علمي يناسب السؤال: من يحيي العظام وهي رميم ؟ والجواب: يحييها الذي أنشأها أوّل مرّة، فأمر طبيعي إنّ الذي ينشئ أول الأمر، يستطيع إعادة النشأة، ولا يستطيعون أنْ يقولوا، إنّ هناك منشئاً آخر، فإنْ قالوا ذلك، فسيقول لهم النبي ﷺ من هو ؟ وبعد أنْ قال: وهو بكل خلق عليم، قال: الذي جعل لكم اشجر الاخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون، وإذا هذه للفجاءة أي أنتم توقدون من هذا الشجر فجأة، وبعد أنْ ذكر الإيقاد من الشجر ذهب أبعد من ذلك وأشد وأعمق، وهو خلق السماوات والأرض، وهي من دون شكّ أعظم من إعادة العظام(٧٩).

وحين وصل إلى خلق السماوات والأرض، لمْ يبقَ شيء أكبر منها، قال تعالى ما يلائم هذا العظم: إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ، فحينئذٍ يندفع أيّ شكّ وأيّة ريبة. والمحاجّة بهذا الشكل العلمي، تكون مؤثّرة وما من شكّ فإنّ القبول سيكون سريعاً ويكثر مؤيدوه، فلا نستغرب إذاً أنْ نرى الناس تدخل الدين الإسلامي بسرعة وعلى شكل مجاميع كبيرة أو قبائل بأسرها، قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾[٨٠].

فضلاً عن أنّنا لا نلاحظ جفوة أو امتعاضاً من النبي ﷺ إزاء الناس، بل هو يسمع ويحاور ويصبر ويتحمّل الأذى والسّخرية من هؤلاء السفهاء والعتاة الذين لا ينشدون طلب الحقيقة، بل هم من المرجفين والمتربصين والمنافقين الذين يهدفون إلى التشويش وإبطال دعوة الرسول الكريم ﷺ ولم تقف رسالة النبي ﷺ على زمنه، بل إنّ الإسلام يزداد يوماً بعد يوم - بفضل الله تعالى - وذلك لأنّ الناس يرون فيه الدين الحق النقي غير المحرّف الذي ينظر إلى الناس نظرة سواء لا يفرّق بين إنسان وآخر إلّا بحسب التقوى وبحسب العمل والسلوك، فهو قد منح فرصة واحدة للجميع ووقف على مسافة واحدة من الجميع. ولا نستغرب بعد هذا أنْ يجيب الرسول ﷺ السائلين الذين يطلبون منه طلبات تفوق مقدرة البشر من مثل قولهم: ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾[٨١] فهذه " الطلبات لا تُطلب من بشر، إنّما هي تطلب من خالق بيده كلّ شيء، وهم يعرفون ذلك؛ لكنّهم يريدون إثبات " عجز " النبي المخلوق. مثلما طُلب من أنبياء آخرين كموسى عليه السلام قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾[٨٢].

فتفجير الينبوع من الأرض من دون إعمال آلات معيّنة أو خلق جنّة من نخيل وعنب وتفجّر الأنهار خلالها أو إسقاط كسف من السماء أو الإتيان بالله سبحانه وتعالى وبالملائكة قبيلاً، أو خلق بيت من زخرف أو الرقيّ إلى السماء وبعدها لمْ يؤمنوا حتى ينزل النبي لهم كتابا يقرؤونه، أُمور غير طبيعيّة وفيها غلظة من الكافرين وتجاوز على الله تبارك وتعالى

الخالق المنّان، وتنبئ عن أنّ هؤلاء إنّما هم أجلاف بعيدون عن التحضّر. فما كان جواب رسول الله ﷺ ؟ إنّه انتظر الأمر الإلهيّ ولمْ يبدِ أيّ شيءٍ بإزاء مطالبهم !: قل: سبحان ربّي هل كنت إلّا بشراً رسولاً !! فسبحان ربّي: ردّ مؤدّب على طلب غير مؤدّب، ثم ذكر تبارك وتعالى أنّ النبيّ إنّما هو بشر رسول و" وظيفته " تكون الرسالة، والرسول ينقل من المرسِل ما كلّفه به، لا أنْ يخلق أشياء خارقة عن مقدرته العقليّة والعلمية، بلْ إنّ الناس جميعاً لا يستطيعون فعل ذلك ولو اجتمعوا عليه، وقد ذكر الله تعالى في موضع آخر بأنّ الذين يدعون من دون الله تعالى - مجتمعين - لا يستطيعون أنّ يخلقوا ذباباً !! قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[٨٣].

وأنت إذْ تلاحظ المنهج العلمي والمنطقي الذي يتبعه رسول الله ﷺ من خلال النصّ القرآني، وإنّنا نجد أحاديث صحيحة متواترة وردت عن النبي الكريم ﷺ يحظّ فيها - صراحة - على العلم، من مثل قوله ﷺ : ((من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهّل الله به طريقاً إلى الجنّة، وما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلّا حفّتهم الملائكة، ونزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله فيم عنده))[٨٤].

وقال ﷺ أيضاً: ((إنّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع، وإنّ العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض، حتّى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإنّ العلماء ورثة الأنبياء، إنّ الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنّما ورّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظّ وافر))[٨٥].

وهناك ربط بين العلم والفقه في هذه الأحاديث، وقال رسول الله ﷺ: ((من يرد الله به خيراً، يفقّهه في الدين))[٨٦].

والغريب الذي يُجمع عليه الذين لا يؤمنون في النبوّة على مرّ تاريخ البشريّة لمْ يطلبوا من الطغاة شيئاً من هذا القبيل، بلْ يطلبون من الأنبياء فقط. وهناك من ادّعى الالوهيّة كالنمرود وفرعون إلّا أنّ أقوامهم لم تطلب إليهم مثل هذه الطلبات؛ لأنّهم يخشونهم ويخافون من بطشهم !.

الخاتمة:

- جاءت ولادة الرسول الكريم ﷺ في فترة من انقطاع الرسل؛ لتنقذ الناس من ضلالاتهم ومن تحريف المحرّفين من أصحاب الديانات السماويّة.
- إن الله تعالى اختار المصطفى الكريم ﷺ ليكون خاتمة النبوات وتكون شريعته خاتمة الشرائع؛ فرسالته قائمة وهي حجة على الناس أجمعين.
- إنّ النبي الأكرم ﷺ كان بحق الرحمة التي اصطفاها الحق تبارك وتعالى؛ لتكون رحمة للعالمين.
- مع أنّه الرسول ﷺ قد غُفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر؛ إلّا أنّه كان عبداً شكوراً.
- بشّرت الديانتان اليهودية والنصرانيّة بنبوّته ﷺ، ومع هذا، فقد ناصبه اليهود والنصارى العداوة والبغضاء، وقد استطاع بالإقناع تارة وبالإكراه تارة أُخرى من نشر دعوته إلى الناس كافة.
- كان القرآن الكريم حجّة على الناس أجمعين؛ لأنّ الحقّ تبارك وتعالى تكفّل بحفظه، بخلاف التوراة والإنجيل المحرّفين.
- كان شعار الرسول ﷺ والاسلام أنْ لا إكراه في الدين، وقد انتشر الدين الاسلامي لأمرين، الأوّل: أخلاق الرسول ﷺ العظيمة، والثاني: الإقناع والمنطق العلمي في الاسلام.
- لقد تمكّن رسول الله ﷺ من نشر رسالته؛ لما تمتّع من به من شخصيّة فذّة في قيادته التي قامت على الخلق الكريم والهيبة التي حباه الله تعالى بها، فدائما ما يغلب عملُه كلامَه.
- وصل المصطفى الكريم ﷺ إلى اعلى درجات الكمال البشري في تحمّله وصبره ورقّته على أصحابه، وكان لا يفضّل أحد أصحابه على الآخرين مثلما لا يفضّل أهل بيته على الآخرين، وكان أشجع الناس وأكرمهم ولم يخَف من أحد ولا يعتريه الجزع بخلاف بقيّة الأنبياء فضلاً عن الناس.

- نجح رسول الله ﷺ في التأثير في الناس جميعاً؛ لما رُزق به من علم وحلم وكان قدوة للناس في مأكله وملبسه وأنّه لا يقدّم ما يتعلّق به على مبادئ الاسلام؛ فقد تمكّن من تخطّي مشاعره وعفا عن مجرمي الكفّار حتى عفا عن " وحشي " قاتل عمّه حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد الرسول؛ ولمعرفته ﷺ أنّ الدولة لا يجب أنْ تبدأ بدم.

هوامش البحث

(١) ظ: مسند أحمد بن حنبل: ١٢٧/٤.
(٢) الحجر: ٩.
(٣) آل عمران: ١٠٣.
(٤) الضحى: ١ – ١١.
(٥) ظ: السيرة الحلبيّة: ٢٨٣/١، و أُسد الغابة: ٤٤/٤، وأعلام الهداية: بحث بعنوان: أهل البيت في القرآن الكريم: ١/ ٨٨ – ٩٠.
(٦) الخالدون مائة أعظمهم محمد: ٤.
(٧) ذكر ابن هشام أمورا كثيرة منها اشتراكه بحلف الفضول قبل بعثته الشريفة، ظ: السيرة النبوية: ٨١.
(٨) المائدة: ٣.
(٩) سبأ: ١٠.
(١٠) سورة ص: ٢٠.
(١١) معالم التنزيل (تفسير البغوي): ٥٧/٤.
(١٢) سبأ: ١١.
(١٣) سنن ابن ماجة: ١١٠١/٢/رقم الحديث: ٣٣١٢.
(١٤) سنن الترمذي: ٥١٨/٤/رقم الحديث: ٢٣٧٧.
(١٥) سنن الترمذي: ٥١٨/٤ رقم الحديث: ٢٣٧٧.
(١٦) سنن الترمذي. باب: ما جاء في كراهية أن يشفع في الحدود، رقم الحديث ١٤٣٠ ص: ٣٣٨.
(١٧) القلم: ٤.
(١٨) فصّلت: ٤٢.
(١٩) المائدة: ١٣.
(٢٠) سيرة ابن هشام: ١٠٥/١ – ١٠٧. وذكر قصة بحيرى ببصرى الشام بالتفصيل.

(٢١) ظ: صحيح البخاري: ٢٤ - ٢٦.
(٢٢) الأعراف: ١٥٧.
(٢٣) سيرة ابن اسحاق: ١٢٣.
(٢٤) الحجّ: ١٧.
(٢٥) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى : ١٣.
(٢٦) البقرة: ٢٥٦.
(٢٧) الأنعام: ١٠٨.
(٢٨) ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ٢٠٦/٢ ٢٠٧ وسمّى ابن هشام المبعوثين بأسمائهم.و الطبقات االكبرى: ٢٥٨/١ - ٢٦٢ .و محمد رسول الله: ٢٨٩ - ٢٩١.
(٢٩) النحل: ١٢٦.
(٣٠) الشعراء: ٢١٤.
(٣١) المسد: ١ - ٥.
(٣٢) النصر: ١ - ٣.
(٣٣) الأحزاب: ٦.
(٣٤) المائدة: ٢٤.
(٣٥) الأحزاب: ٥٦.
(٣٦) الشعراء: ٨٨ - ٨٩.
(٣٧) القصص: ٣٢-٣٣.
(٣٨) النمل: ١٠.
(٣٩) القصص: ٢٦.
(٤٠) مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي: ٤٣١/٧.
(٤١) سيرة ابن هشام: ٢٦٦/١. وظ: سيرة ابن اسحاق: ١٣٥.وهناك من يجعل هذا الحديث من الاحاديث الضعيفة التي لم تروها كتب السيرة: ظ: شبكة المعلومات الدولية. موقع ألوكة.
(٤٢) الحشر: ٢١.
(٤٣) المنهاج في شرح صحيح مسلم: ٤٨٥/١٢ - ٤٨٦. وهو حديث متفق عليه.
(٤٤) نوح: ٢٦ - ٢٧.
(٤٥) الشرح: ١ - ٣.
(٤٦) ظ: سيرة ابن هشام: ٢٨٩/١. وظ: سيرة ابن اسحاق: ١٧٨.
(٤٧) العلق: ٩ - ١٠.
(٤٨) العلق: ١٣.

(٤٩) العلق: ١٥.

(٥٠) ظ: سيرة ابن اسحاق: ٢١٢.

(٥١) العلق: ١٨.

(٥٢) المستدرك على الصحيحين: ٦٧٠/٢ رقم الحديث: ٤٢٢١.

(٥٣) القلم: ٤.

(٥٤) محمد رسول الله ﷺ: ١٠٧.

(٥٥) السيرة لابن هشام: ١٦٧/١. وظ: سيرة ابن اسحاق:

(٥٦) سيرة ابن اسحاق: ٨٥.

(٥٧) ظ: م.ن: ٨٥.

(٥٨) سبأ: ٢٨.

(٥٩) الفرقان: ٧.

(٦٠) الزخرف: ٣١ - ٣٢.

(٦١) آل عمران: ١٥٩.

(٦٢) ظ: صحيح البخاري، باب التهذيب رقم الحديث: ٣٦٣٥، وظ: الرسول والعلم: ١١٩ - ١٢٠.

(٦٣) الموقع الرسمي لابن باز، وقال إنّه متفق عليه، ولم أجده في كتب الصحاح.

(٦٤) الأنفال: ٦٧.

(٦٥) روى ذلك مسلم الإمام أحمد والترمذي، وذكرى الحادثة سيد طنطاوي من المحدثين في التفسير.

(٦٦) ظ: شبكة المعلومات الدوليّة، مقال بعنوان: محمد رسول الله لأحمدي قاسم محمد.

(٦٧) ظ: سيرة ابن هشام: ٣٧٣/٢.

(٦٨) ظ: شبكة المعلومات الدولية، مقال بعنوان: محمد رسول الله. لأحمدي قاسم محمد.

(٦٩) البلد: ١١ - ١٣.

(٧٠) شبكة المعلومات الدوليّة، شرح حديث أبي هريرة: في كل كبد رطبة أجر.

(٧١) البقرة: ٩٦.

(٧٢) القرة: ٩٢ - ٩٤.

(٧٣) الإسراء: ٤٩. وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾. الجاثية: ٢٤. فتراهم أنكروا البعث والحساب، وزعمهم مبنيّ على الظن.

(٧٤) الميزان: تفسير الآية ٤٩ من سورة الإسراء.

(٧٥) النازعات: ٢٧.

(٧٦) سورة يس: ٧٨ - ٨٣.

(٧٧) المؤمنون: ٣٧.

(٧٨) تفسير الطبري، سورة " المؤمنون " الآية ٣٧.

(٧٩) وقال تعالى: ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا * مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ النازعات: ٢٧ - ٣٣.

(٨٠) النصر: ١ - ٣.

(٨١) الإسراء: ٩٠ - ٩٣.

(٨٢) البقرة: ٥٥.

(٨٣) الحجّ ٧٣ - ٧٤.

(٨٤) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، باب: ترغيب، رقم الحديث: ١٠٥.

(٨٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل، باب الترغيب:

(٨٦) صحيح البخاري باب الترغيب: وظ: الرسول والعلم: ٩ - ١٠.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الاثير الجزري. دار ابن حزم. بيروت - لبنان. ط١ ٢٠١٢.
- أعلام الهداية للجنة التأليف، بحث بعنوان: أهل البيت عليهم السلام في القرآن الكريم. مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت. مطبعة ليلى. ط٢ ١٤٢٥هـ.
- الخالدون مائة أعظمهم محمد ﷺ لمايكل هارت. ترجمة أنيس منصور
- الرسول والعلم للدكتور يوسف القرضاوي. مؤسسة الرسالة. ط ٥ ١٩٥٥.
- السيرة الحلبية لعلي بن برهان الحلبي. تحقيق الدكتور أحمد نعمة حسين. دار المعرفة. بيروت - لبنان. ٢٠١٢.
- سنن الترمذي. أو الجامع الصحيح للترمذي . تحقيق محمود محمد حسن. دار الكتب العلمية. بيروت.
- السيرة النبوية لابن هشام. صححه واعتنى به: ناجي إبراهيم سويد. دار الأرقم بن أبي الأرقم. (د.ت).
- صحيح البخاري. المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه لأبي عبد الله البخاري. طبعة جديدة مصححة وملونة. دار إحياء التراث العربي. بيروت - لبنان. ط١ ٢٠٠١.

- الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد البصري الزهري. تحقيق الدكتور علي محمد عمر. مكتبة الخانجي بالقاهرة. مصر. ٢٠٠٢.
- محمد رسول الله ﷺ كتاب علمي أدبي تاريخي لحسين الشاكري. نشر الهادي. مطبعة الهادي. قم. ط١ ١٤١٦ هـ.
- المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل. مركز الرسالة للدراسات وتحقيق التراث. مؤسسة الرسالة.
- معالم التنزيل (تفسير البغويّ) لأبي محمد البغويّ. تحقيق عبد الرزاق المهدي. دار إحياء التراث العربي. بيروت ط١ ١٤٢٠هـ.
- المنهاج في شرح صحيح مسلم للنووي. نشر بيت الأفكار الدولية.
- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن قيم الجوزية. منشورات محمد علي بيضون. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان ٢٠٠١.